## الدرس (03): ترجمة المصطلح الصوتي

**تمهيد:**

يعدّ الدرس الصوتي من أهم الدروس اللسانية؛ لأن الصوت هو المظهر الفعلي للغة عبر الكلام، مخرجا وصفة، ولهذا تعمق أهل الاختصاص في بحوث علم الأصوات اللغوية والفونولوجيا منهجا ومصطلحا، مع استثمار ما توصل إليه العلم الحديث من تصورات واصطلاحات جديدة، فأصبحنا نتحدث عن علم الأصوات التجريبية، أو الفونتيك التجريبية، وما له من إسهام فاعل، ودور متميز في تطور الدراسات الصوتية، وكذا خوض الباحثين في مسائل، ومجالات ما كان لهم أن يطرقوها لولا الاستعانة بهذا العلم.

**المصطلح الصوتي بين الترجمة والتعريب:**

يعد المصطلح الصوتي من المصطلحات اللسانية التي نالت نصيبها من الترجمة والتعريب، مع تنوع في مصادر النقل، وتعدد في صيغه الاصطلاحية، الأمر الذي انعكس على المصطلحية الصوتية العربية مفهوما ومنهجا، إلا أن هذا الانفتاح المصطلحي بقدر ما فرضته ضرورة مواكبة المعرفة الأجنبية بقدر ما كانت له تأثيرات من الصعب تجاوزها.

لقد عرفت الصوتيات العربية تعددا مصطلحيا كبيرا؛ جراء نقل المصطلح الصوتي من الخطاب اللساني الغربي، وهو حال الدرس اللغوي العربي عامة، وهذا ما جعل الدارس العربي في حيرة من أمره أمام هذا الكم من المقابلات العربية؛ «فتارة تجده يستخدم مصطلح (فوناتيك) تعريبا للمصطلح الأجنبي (phonétique)، وتارة أخرى يعبّر عنه بمصطلح "الصوتيات"، أو "علم الأصوات" ...، وكذلك الأمر نفسه بالنسبة لمصطلح "الفونيم" المعرب للمصطلح الأجنبي (phonème) الذي تعدّد استعماله لدى الباحثين العرب كل حسب توجهه الفكري والمدرسة التي ينتمي إليها، فمنهم من أبقى مصطلح (phonème) وعرّبه إلى "فونيم"، ومنهم من اصطلح عليه "الصوتيم"، أو "الصوتم"، أو "الصوتمية"، أو "الصوت"»[1].

وبما أن الصوت اللغوي له جانب مادي وآخر وظيفي، لا يمكن الفصل بينهما خارج دائرة الدرس والتحليل، فقد أشار كمال بشر إلى فرع آخر لعلم الأصوات بالقول: «جاء تفريع ثان لهذا العلم، يتمثل فيما سموه

[1]– نادية زيد الخير، إشكالية تعدد المصطلح الصوتي في اللغة العربية، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، ع1، مج14، 2021، ص135.

"علم الأصوات" مع التسامح في التسمية، وعربناه نحن إلى "الفوناتيك"، وفيما أطلقوا عليه علم وظائف الأصوات (phonology)، وعربناه إلى "الفنولوجيا"؛ الأول يكتفي بدراسة المادة الصوتية من حيث كونها أحداثا منطوقة، والثاني يبين وظائف هذه الأصوات وقيمها في اللغة المعينة، منتهيا بوضع قواعد ونظم تحدد نوعيات هذه الأصوات وصنوفها من حيث أدوارها في البناء اللغوي»[1].

كما أن الفرع الفوناتيكي (Phonetics) يهتم بدراسة الأصوات الإنسانية شرحا وتحليلا وتجريبا، بغض النظر عن اللغات التي تنتمي إليها، وأثرها العملي أو الوظيفي في تلك اللغات، أما الفرع الفنولوجي (Phonology) فيهتم بهذا الأثر في تركيب الكلام نحوا وصرفا، ولهذا يمكن أن يطلق عليه اصطلاح علم الأصوات الذي يُعنى بالكلمات في بناها، والجمل في تراكيبها[2].

وقد تم توظيف مصطلح الفوناتيك (phonetics) بالموازاة مع مصطلح الفنولوجيا (phonology) إلا أن مواقف الباحثين منهما قد تباينت من حيث منهج الدراسة أو مجالها أو طبيعتها؛ حيث تمت الإشارة إلى أربعة فرق؛ هي[3]:

**الفريق الأول**: يرى أن الفوناتيك يهتم بدراسة أصوات اللغة في بعدها المادي الخالص، وهذا ما دفع البعض إلى إدراج هذه الدراسة ضمن حقل الفيزياء، بدلا من حقل علم اللغة؛ كونه الأنسب لها.

**الفريق الثاني**: ذهب هؤلاء إلى أن الفوناتيك يُعنى بدراسة أصوات الكلام، في حين أن الفونولوجيا تُعنى بدراسة أصوات اللغة، وهم بهذا يسيرون على نهج "دي سوسير" في فصله بين الكلام (parole) واللغة (langue).

**الفريق الثالث**: حاول هؤلاء التفريق بين الفوناتيك والفونولوجيا منهجيا؛ حيث يختص الفوناتيك بالدرس الصوتي التاريخي، وتختص الفونولوجيا بالدرس الصوتي النظامي، وأن الأول يمهد الانتقال إلى الثاني؛ ذلك أن الفوناتيك يعمل على جمع المادة الصوتية الخام، لكي تخضعها الفونولوجيا للتقعيد بوضع قوانين كلية تحكم هذه

[1]– كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2000، ص9.

[2]– ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة نهضة مصر، مصر، (د.ت.ط)، ص3.

[3]– ينظر: كمال بشر، علم الأصوات، ص10.

المادة، وبالرغم من وجود فروق بينهما إلا أنهما يشتغلان معا على دراسة أصوات اللغة؛ وأن كل علم منهما يكمل الآخر، ولا يمكنه الانفصال عنه.

**الفريق الرابع:** ويتمثل في الرؤية الأمريكية التي تنظر إلى الفوناتيك على أنه علم عام يدرس أصوات اللغة بكل جوانبها، ويأتي في مقابل الفونولوجيا على أساس أنها علم خاص يدرس أصوات اللغة في جانبها الوظيفي، فضلا عن تقديم مصطلح الفونيم (phoneme) بمعنى وحدة صوتية ذات معنى محدد في التركيب الصوتي للغة ما، وقد اشتغل هؤلاء على هذه الفكرة بتوسع أكبر حتى قادهم الأمر إلى استحداث علم الفونيمات (phonemics).

وأطلق مصطلح "الفونتيك" (phonétique) أو مصطلح "الصوتية" (phonetics) على علم الأصوات العام الذي يهتم «بالوجه المادي لأصوات اللغة البشرية؛ أي بدراسة العناصر الصوتية للسلسلة الكلامية المعتبرة في تحقيقها الملموس وبمعزل عن وظيفتها اللغوية؛ أي استخدامها في التواصل، وهذا يعني أنه يعمل على تحليل العناصر الصوتية من حيث كونها أحداثا منطوقة تتمتع بتأثير سمعي معين، دون النظر في وظائفها، أو قيم استعمالاتها، أو تحقيقاتها الآنية في التواصل اللساني، وهو بذلك يُعنى بمادة الأصوات لا بقوانينها أو تنظيماتها»[1].

ولم يقتصر أمر التعدد الاصطلاحي على علم الأصوات العام بل شمل أيضا علم وظائف الأصوات؛ حيث قيل الصواتة أو الفونولوجيا أو التصويتية (phonology) الذي يهتم بالبحث في وظائف الأصوات اللغوية، وكذا القوانين التي تحكمها، والأدوار التي تؤديها أثناء عمليات التواصل اللغوي[2].

نلاحظ تعددا في المفاهيم والتصورات في حين أن المصطلحات لم تتغير؛ وهذه مشكلة من شأنها أن تحول دون الفهم الدقيق للمصطلحين، فضلا عن كثرة المقابلات تبعا لكثرة المترادفات المصطلحية داخل اللغة نفسها؛ حيث أشار "تمام حسان" إلى أن «الجهاز الصوتي أو النظام الصوتي للغة يدرسه علم "الصوتيات" (phonology)»[3]، وفي السياق ذاته يؤكد أن هذا العلم يستخدم في دراسته للصوت اللغوي معطيات علم الأصوات (phonetics)[4]؛ الأمر الذي بثير سؤال الاختلاف بين علمي الصوتيات والأصوات في ظاهر الأمر

[1]– بسام بركة، علم الأصوات العام – أصوات اللغة العربية، مركز الإنماء القومي، لبنان، (د.ت.ط)، ص6.

[2]– ينظر: نفسه، ص7.

[3]– ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1994، ص34.

[4]– ينظر: نفسه، ص35.

وإلا ما الضرورة الاصطلاحية التي اقتضت توظيف المصطلحين في السياق نفسه إن لم يكن هناك اختلاف بينهما في المفهوم ومجال الدراسة.

إضافة إلى صيغ اصطلاحية أخرى وظفها أهل الاختصاص على سبيل التعريب في هذا الباب؛ مثل: فونتكس، وفونولوجي، فونيمكس، ومورفونولوجي؛ حيث أشار إليها أحمد مختار عمر مؤكدا أنه «يكثر تردد هذه المصطلحات في مجال الدراسات الصوتية، ومع ذلك ليس هناك اتفاق بين اللغويين على مدلولاتها، كما أنه لا يوجد اتفاق بين الأصواتيين العرب على مقابلاتها في اللغة العربية»[1].

هكذا تعددت المسميات واختلفت على مستوى المصطلحية الصوتية العربية؛ ويمكن تفسير إشكالية ترجمة المصطلح الصوتي بإشكالية ترجمة المصطلح اللساني عامة؛ وما يتصل بها من مزالق تتعلق بصعوبة الضبط، وغياب الاتفاق، فضلا عن مسائل تتصل بالمترجم أكثر من الترجمة نفسها؛ ذلك أن «الهدف من ترجمة المصطلحات الصوتية، هو نقل المفاهيم والمعارف من لسان النشأة إلى لسان التقبل، ولتحقيق ذلك لابد أن يمتلك المترجم مهارات لسانية وأخرى معرفية تمكنه من ضبط مفهوم المصطلح حسب سياقات استعماله، ولكن اختلاف المهارات وتعدد السياقات أدى إلى اختلاف الترجمات، فظهرت ترجمات متنوعة وعديدة تخص مصطلحا صوتيا واحدا»[2].

يواجه الدرس الصوتي العربي مشكلة تعدد المصطلحات وعدم توحيدها، شأنه في ذلك شأن اللسانيات العامة؛ جراء صعوبة الترجمة في هذا حقل المعرفي أكثر من غيره، ولهذا كثيرا ما كان المترجم يلجأ إلى التعريب، بسبب كثرة المصطلحات الصوتية؛ ونظرا لتعدد مصادرها اللغوية بين الفرنسية والإنجليزية وغيرها، فضلا عن غلبة الجهود الفردية التي حالت دون تحقيق وحدة المصطلح، بل زادت من مشكلة تعدده واختلافه.

أما عن الأسباب الأخرى التي جعلت ترجمة المصطلح الصوتي أكثر صعوبة مقارنة بغيره؛ فقد ذكرها "الغامدي" في كتابه "الصوتيات العربية" حين قال: «الأمثلة المطروحة باللغة الأصلية غير عربية، وإذا ما تُرجمت فإنها تفقد خصوصيتها اللغوية الخاصة باللغة الأصلية وتكتسب خصوصية العربية مما قد يُخرج المثال عن وظيفته،

[1] – أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 1997، ص66.

[2] – نور الدين دريم، حركية المصطلح الصوتي وإشكالية الترجمة، مجلة اللسانيات والترجمة، ع1، مج3، ماي 2023، ص1.

ويجد المترجم صعوبة في إيراد أمثلة بالعربية؛ لأنها لم تُدرس وتبحث بشكل عصري يتوافق مع الإنجازات المعاصرة»[1].

وهذا ما حال دون التوصل لاستحداث مصطلحية صوتية من شأنها التأسيس لنظرية صوتية عربية معاصرة، بسبب غياب مرجعية معرفية قوية في هذا التخصص تحديدا؛ حيث يمكن اعتمادها في الدرس والتحليل والتأليف، وحتى المتاح من الكتب المترجمة لا يمكنه أن يستجيب لهذا المطلب لافتقاره للضبط، والدقة، والأمانة العلمية.

[1]– منصور بن محمد الغامدي، الصوتيات العربية، مكتبة التوبة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 2001، ص1.